قادرون على مواجهة كل التحديات

بقلم : صبرى أبو المجد

أو اختلافات،أمور طارئة مصيرها حتماً إلى الزوال تمزيق الصف العربى والاستيلاء على خيرات العرب يجب أن تكون فى خدمة الوحدة العربية الأصيلة، التى تجمع العب ولا تفرقهم للنضال العربى وقاعدة له.

أؤمن ومنذ زمن بعيد جدا بأنه لا توجد، أبدا، أية خلافات أو اختلافات بين الشعب العربى – كل الشعب العربى – لأن الجميع أخوة ، أحبة شركاء- دائما- فى السراء، وفى الضراء. وحتى لو ظهرت، فى بعض الأوقات وخلال بعض الأزمات التى يخلقها أعداء الشعب العربى، وخصومه، بعض الخلافات أو الاختلافات بين بعض فئات الشعب العربى، وبعض طوائفه فإنها بحق خلافات واختلافات سطحية غير عميقة الجذور.. يمكن القضاء عليها بقليل من الجهد، وكثير من حسن النية المتبادل.

وأومن – فى نفس الوقت، وبنفس الدرجة من الحماس- بأن كل ما يبدوا على سطح السياسة العربية اليوم، أو غدا من خلافات أو اختلافات شأنها – تماما- شأن كل الخلافات أو الاختلافات التى كانت موجودة فى الماضى. هذه الخلافات والاختلافات – مهما تكن حدتها ومهما يكن عمقها- لا يمكن أبدا أن تبقى إلى الأبد، مصيرها- طال أمدها أم قصر- إلى الزوال، أن لم يكن اليوم ففى الغد، وإن لم يكن فى الغد ، ففى بعد الغد.

وأومن أيضا، فى نفس الوقت، وبنفس الدرجة من الحماس، بل وبنفس الثقة والإخلاص أنا ما يجمع الملوك، والرؤساء، والقادة، والحكام العرب.. مهما اختلفت وجهات نظرهم وتباينت سياستهم.. أكثر بكثير مما يفرقهم. لأن القاعدة الثابتة الأصيلة عند شعبنا العربى، فيما يتعلق بعلاقاته الأخوية. الاتفاق، والاتحاد، والاستثناء، هو وجود الخلاف، والاختلاف، والقاعدة دائما، وأبدا، هى الباقية، أما الاستثناء، دائما ,أبدا لا يمكن أن يدوم.

وأومن كذلك وفى نفس الوقت، وبنفس الدرجة من الحماس والثقة والإخلاص .. بل أكاد أقول أقطع وأجزم بأن مستقبل شعبنا العربى الموحد سيكون أكثر إشرافا، وازدهارا من كل تلك الدول الكبرى التى تحيك ضده أعنف المؤامرات وأخطرها مستهدفة تمزيق صفوفه من ناحية ومن

ناحية أخرى مستهدفة الاستيلاء على كل خيراته، التى أنعم الله سبحانه وتعالى عليه بها دون غيره من شعوب الأرض.

والذى جعلنى أومن بكل ذلك، إيمانا قويا قاطعا جازما، دراستى لتاريخ شعبا العربى فى كل مراحل تاريخه.. وخاصة خلال الأربعة عشر قرنا الأخيرة، منذ أن وحد، الإسلام- كما وحدت اللغة العربية – كل شعوب تلك المنطقة، التى أقامت أقدم، وأخطر مدنية فى التاريخ، والتى احتلت فى الماضى ولا تزال حتى اليوم، والى أن يرث الله الأرض وما عليها.. أخطر المواقع الاستراتيجية فى العالم، القديم، والعالم الحديث على حد سواء.

وتاريخ شعبنا العربى عبر الأربعة عشر قرنا الماضية يؤكد أن هذا الشعب الأصيل العظيم المعطاء يتحد وخاصة فى وقت الشدة بصورة نادرة لا توجد عند غيره من الشعوب.

يواجه دائما كل المحن، والآلام كما تواجه الأسرة الواحدة، أعباء الحياة الثقيلة المريرة.

ولم يعرف عن شعبنا- ولو فى مرة واحدة – أنه لم يتحد، ولم يتكاتف ولم يتضامن فى أية أزمة مرت به كما أن تاريخ شعبنا العظيم الأصيل يؤكد باستمرار قدرته على فرض الوحدة على زعمائه وقادته، وقدرته على إجبار هؤلاء القادة والزعماء، والحكام، على تناسى كل ما بينهم من خلافات، أو اختلافات فى الوقت الذى يراه هو – بوعيه الصادق- مناسبا....

وتاريخ شعبنا العربى الأصيل، وخاصة فى السنوات الأخيرة يؤكد، على أهمية الكلمة المكتوبة والمسموعة فى الإبقاء، على وحدة المشاعر، والأهداف العربية.....

قد تكون الكلمة المكتوبة، أو المسموعة- خاصة التفرق، والتمزق، وغالباً ما تكون تلك الكلمة – وخاصة، إذا كانت صادقة وأمينة الفرقة والانقسام، والتى تعمل على تجنب الفرقة والانقسام، التى تعمل فى نفس الوقت على تدعيم العمل العربى المشترك وعلى تقوية الكلمة العربية الواحدة والإرادة العربية الموحدة.

ومنذ أكثر من ست سنوات، عندما ألقيت على كاهلى مسئولية الإشراف على هذا العدد الخاص من المصور "نحن العرب" .. أحاول جهد الاستطاعة أن أجعل هذا العمل الفريد فى نوعه، للعرب كلهم، من خليجهم إلى محيطهم. لهم جميعا على اختلاف آرائهم، وثقافاتهم وميولهم. كما أننى لا ولا أزال أحاول أن أجعل من هذا العمل العربى، الجاد نافذة من نوافذ الفكر العربى الأصيل، وصلة وصل بين كل العرب فى كل الأقطار العربية... آملاً فى أن نصل فى يوم من الأيام- نأمل أن يكون قريبا، ويأمل أعداؤنا وخصومنا، أن يكون بعيداً بل ألا يكون على

الإطلاق- إلى وحدة فكرية صحيحة سليمة طالما تاقت إليها نفوسنا ونفوس آبائنا وأجدادنا وآبائنا وأفئدتنا.

لقد أثرنا – كما سبق أن قلت فى افتتاحية العام الماضى من المصور "نحن العرب" – أن يكون هذا العدد، من "نحن العرب"، أداة فكرية، وثقافية تجمع ولا تفرق، ترتفع دائما وأبداً فوق كل الخلافات والاختلافات، بين الأقطار العربية، إيمانا منا- كما قلت بالحرف الواحد- "بأن كل ما بين العرب ومن خلافات واختلافات إنما هى أمور طارئة لا يمكن أبداً أن تقوى على الزمن: ولا يمكن أبداً أن تستمر أمام المد الشعبى العربى الموحد، الجارف: لكل ما أمامه من عقبات، وصعوبات،وخلافات، واختلافات.

وفى هذا العام- ورغم احتدام الخلاف بين بعض الأخوة العرب، واشتداد أوجه الاختلاف بين البعض الآخر و... رغم عنف الهجوم القاسى المرير، الذى تتبادله كل يوم، بعض الأطراف العربية، ورغم كوننا هنا فى مصر- مصر طليعة النضال العربى وقاعدته- فى مقدمة الأهداف التى يوجه إليها بعض الأخوة العرب سهام حملاتهم، وانتقاداتهم القاسية العنيفة.. رغم ذلك كله، آثرنا فى هذا العدد الخاص من المصور "نحن العرب" .. أن نستمر فى سياستنا القومية، التى درجنا عليها هنا منذ سنوات عديدة، نجمع ولا نفرق، تكون أداة وحدة، لا أداة تمزيق نبذل قصارى جهدنا لكى تتوحد كلمة العرب، ولكى تعلو إرادة الشعب العربى، على كل إرادة سواها.

وطوال السنوات، الماضية، كنت حريصا على أن أؤكد على تلك الحقائق وغيرها التى تتعلق بالدور الحضارى للعرب فى الماضى والحاضر وما يمكن أن يحققوه بوحدتهم، وتضامنهم وما يمكن أن يخسروه، إذا ما تركوا، لدواعى الفرقة والانقسام أن تمتد إلى حياتهم.

وقبل حرب أكتوبر، المجيدة الخالدة، كتبت فى افتتاحية المصور، "نحن العرب": التاريخ القريب، والبعيد يؤكد، أن العرب أمة واحدة، بل أن المصالح المشتركة والأخطار المحدقة بنا ككل تقول أن العرب أمة واحدة، عندما ينطلق المرء، من الخليج العربى إلى المحيط الأطلسى مارا بالوطن العربى كله لا يجد إلا شعبا واحدا، ينطلق لغة واحدة ويحس بآلام، وآمال واحدة؛: تاريخه واحد، تقاليده واحدة: من المحيط إلى الخليج مساحة لا تقل عن سبعة آلاف كيلو متر، تمر بأكثر من بحر، وأكثر من محيط، منطقة تزيد مساحتها على 11 مليون كيلو متر مربع، تنتمى جغرافيا إلى قارتين كبيرتين، تملك ساحلا، يزيد فى الطول على 14 ألف كيلو متر، ولكنك كعربى عندما تنتقل، من مكان، إلى مكان داخل تلك البقعة الواسعة الشاسعة، لا تحس أبداً بالغربة فى أى منزل

تنزل به ولا يحس أبناء أى بلد نزلت به أنك غريب عنهم: كل أبناء تلك المنطقة المترامية الأطراف عرب، ليست دعوى ندعيها، ولكنها حقيقة نسلم بها، ونحرص باستمرار على تأكيدها: لقد انهزمنا، حقيقة فى يونيو 1967 وتلك حقيقة لا ننكرها ولا نتجاهلها، وقد انتصرت العصابات الإسرائيلية منذ ذلك التاريخ علينا، وتلك أيضا حقيقة لا ننكرها، ولا نتجاهلها. وما انتصار العدو وما انتكاستنا إلا لأننا لم نعرف تماما قيمة وحدتنا وخطورة عملنا المشترك.

وقد قلت أيضا، أن القوى، التى لا تعتمد إلا على الباطل لا تتحمل هزيمة واحدة، أما الشعوب العريقة الأصيلة التى تعتمد على الحق، فإنها سرعان ما تقوم من كبوتها وعدونا اليوم يحاول بكل سلاح، أن يزرع اليأس فى قلوبنا، لأنه لا يستطيع أن ينتصر علينا إلا عن طريق هذا السلاح: أنه قلق للغاية، يخشى المستقبل، لا يزال حتى اليوم، ورغم ما يقرب من مرور ستة أعوام على انتصاره يصارع هذا الانتصار.

أذكر أن جولدا مائير قالت أكثر من مرة، فى أكثر من مرة، فى أكثر من حديث: أن إسرائيل لا تحتمل أن تخسر حربا واحدة لأن هذه الحرب ستكون آخر الحروب، وآخر علامة على وجود إسرائيل.

وأذكر أن صحيفة الفيجارو قد نشرت فى 70/1/2 مقالا، تحت عنوان: "إسرائيل تصارع انتصاراتها" قالت فيه أن إسرائيل التى كانت تعيش طيلة العشرين عاما الماضية على أحلام تحولها، إلى واقع .. إسرائيل. التى كانت تعيش لأول مرة فى تاريخها على أرض صلبة، وقعت فى الفخ: كلما أحرز الإسرائيليون مزيدا من الانتصارات تدهور موقفهم الدبلوماسى، وكلما تدهور موقفهم الدبلوماسى تشوهت فى الخارج، الصورة، التى قامت عليها دولة إسرائيل: صورت الشعب المضطهد الهارب من معسكرات الاعتقال الذى لا يريد إلا أن يعيش فى سلام مع جيرانه: إسرائيل اليوم فى حيرة تتساءل ما الذى تغير، حتى يتحول تيار العطف الذى أحاط بها منذ نشأتها على هذا النحو المفاجئ إلى قطاع من الغضب: أن إسرائيل صغيرة إلى حد لا يسمح لها بأن تهزم ولو مرة واحدة فهى إذن ملزمة بالانتصار، وما أن تلحق بها هزيمة جديدة حتى يدخل العرب تل أبيب: أن إسرائيل تعرف أنها وحيدة تحت الأنواء وقد أصبابها دوار غامض.

وقد قلت قبل حرب أكتوبر- أيضا- أن عدونا الإسرائيلى، حقيقة فى قلق، ونحن أيضا كعرب فى قلق، والعدو، ممزق، من الداخل، أكثر من تمزقنا نحن بكثير.

أننا كعرب ما يجمعنا، أكثر مما يفرقنا بل أن ما يفرقنا حتى الآن أمور عرضية لن تبقى مع الزمن، بل أنها سوف تتلاشى بسرعة عندما تبدأ الحرب، ومهما كانت الأسباب، التى أدت إلى هزيمتنا: لقد ابتلينا فى هذا العام بالخلاف، الذى نشب فى بعض العواصم، العربية.ولكن الإيجابيات – فى النهاية – كانت أكثر من السلبيات وقد ذكرت بعض الإيجابيات، التى تمت قبل حرب أكتوبر ومن بينها- على سبيل المثال لا الحصر- عودة السلام، إلى جنوب السودان والانفتاح، العربى الكبير الذى حمل الرئيس أنور السادات لواء، الدعوة إليه، وكانت حملاته الناجحة إلى كثير من البلدان العربية "كل ذلك يؤكد أننا كعرب فى طريقنا فعلا، إلى النصر..".

لقد كنت، متأكدا قبل حرب أكتوبر 1973 أننا سنحارب رغم أن أغلبية الكتاب والسياسيين العرب وغير العرب، كانوا يرون العكس، وكنت طوال عام 1972 والشهود السابقة على أكتوبر 1973أقطع بأن الحرب قادمة لا محالة، بل فى بعض الأحيان، كما حدث فى 15 مايو 1973، قلت – ولم يكن ذلك أبدا عن معلومات، وصلت إلى، وإنما كان عند اعتقاد راسخ، وإيمان قوى ثابت، وثقة مطلقة لا حد لها فى قيادة الرئيس السادات، قلت فى 15 مايو 1973، "اقتربت الساعة" وكانت الساعة فعلا، قد اقتربت، فى هذا التاريخ، ولكن رئى لظروف خاصة تأجيل ساعة الصفر، حتى تكون الاستعدادات للحرب، كاملة، وشاملة وكان اعتقادى الراسخ، وإيمانى، القوى، الثابت بأننا سنحارب نابعا كما سبق، أن قلت من ثقتى المطلقة التى لا حد لها فى أنور السادات، الذى أعرفه منذ عام 1947 وأعرف صدقه، وإيمانه، وتفانيه فى حب مصر، والعروبة، وكونه لا يعد، إلا بما يستطيع الوفاء به، وما دام، قد وعد بأننا سنحارب، إذا لم تنجح الوسائل السياسية لتحقيق السلام، فلابد من أنه سيحارب وفعلا، حارب.

وقد كنت أيضا وقبل حرب أكتوبر 1973 واثقا تماما، من أننا سننتصر فى تلك الحرب التى سوف نخوضها، ولم تكن ثقتى نابعة عن معلومات، متوافرة، أو من قبيل الرجم بالغيب فلست من أولئك، الذي ينتابون، بما يمكن أن يحمله المستقبل، ولكنى وقد درست عن كثب إمكانات الشعب العربى، وأثر الهزيمة المرة التى منى بها فى 1967، على نفسه، وعلى مشاعره، وقد درست أيضا – وعن كثب- إمكانات العدو، وكيف أسكرته خمرة النصر، وكيف راح يتخبط شمالا، ويمينا، وشرقا وغربا، وكيف استبد به الغرور إلى الدرجة التى راح فيها يقول أنه يوافق على أن تعود، الملاحة فى قناة السويس، بعد تطهيرها على أن يكون له نصف الرسوم، التى تجنى من السفن المارة فى القناة، وكيف راح يعربد هنا وهناك بيده الطويلة، أو التى كان يظن أنها طويلة ويمكنها أن تمتد إلى أية بقعة من الأراضى العربية من المحيط إلى الخليج.

وقد تحقق النصر، المؤزر فى أكتوبر 1973 وكان فى إمكاننا أن نحقق انتصارات أكبر، وأخطر وأكثر شمولا لولا تدخل الولايات المتحدة فى الأيام الأخيرة فى الحرب وإلقائها، بكل ثقلها فى المعركة إلى جانب إسرائيل، وإصرارها على أن تقف الحرب عند هذا الحد، بحيث لا تضار إسرائيل- حليفتها الوحيدة فى الشرق الأوسط- بأكثر مما أضيرت فى الحرب وبحيث لا يحقق العرب انتصارات أكثر من تلك التى حققوها فى تلك الحرب.

كان فى إمكاننا أيضا أن نحقق انتصارات أعظم، وأبعد أثرا وتأثيرا لو أن صديقنا الوحيد الاتحاد السوفييتى ساعدنا وقتئذ بكل ما يجب، أن يساعد به الحليف الصديق حلفاءه الأصدقاء، ولم يضن علينا- وقتئذ – بالضروريات من قطع الغيار، ومن الصواريخ، التى كنا فى أمس الحاجة إليها لاستمرارنا فى تحقيق الانتصارات، بل لاستمرارنا فى الحرب.

كان فى إمكاننا حقيقة أن نستخلص كل حقوقنا من إسرائيل ونحرر كل أراضينا، التى ابتليت بالاحتلال الإسرائيلى، ونقضى تماما- وربما إلى الأبد- على كل مصادر قوة العدو لم لم تتفق الدولتان الأعظم، ضدنا، مكتفتين، بإبقاء الحال على ما هو عليه بعد 22 أكتوبر 1973 بحيث نبقى فى أمس الحاجة إليهما معا، وبحيث لا تؤدى حرب أكتوبر إلى حدوث مواجهة بين تلك القوتين.

وكان انتصارنا العظيم، فى حرب أكتوبر، رمضان العظيم مشجعا لنا على القول بأن عام 1974، هو عام العروبة ودافعا لنا إلى أن نتساءل: هل يمكن أن نعيش فيما يسمى، بعصر العرب؟ وكرد على هذا التساؤل قلت يومئذ: أن عام 1974، كان عاما ناجحا، إلى أبعد حدود، النجاح، بل كان بداية لعصر، جديد يمكن أن يسمى بعصر العرب: أن العالم كله قد بدأ لأول مرة منذ قرون، عديدة ينظر إلى العرب كقوة دولية، لا لأن العرب يملكون، المال فقط ولا لأن العرب يملكون قوة بشرية هائلة فقط وإنما لأن العرب قد بدءوا يضعون رجلهم على الطريق، الصحيح السليم، طريق، العمل العربى، المشترك الذى بنى، وبنى على أساس من العلم، والإيمان وعلى وحدة العمل ولقد قلت، يومئذ أيضا- فى عام 1974 – وكان العدو، يتأهب للقيام بعدوان جديد على الأراضى العربية، يمحو به كل تلك الآثار الخطرة، التى حققتها حرب العاشر من رمضان، السادس من أكتوبر 1973: لقد حاول، العدو، طوال عام 1974 أن يخترق جدار العمل العربى، الموحد، بذل جهودا شاقة ومضنية من أجل تمزيق الصف العربى الموحد: ودبر الكثير من المؤامرات من أجل إشغال كل بلد عربى، على حدة بمشاكله: حاول، أكثر من مرة السعى إلى حلول منفردة من أجل تقسيم القضية العربية، وتمزيقها: شن بالكذب والباطل حملات إعلامية قوية

ومركزة، معتمدا، على تجاربه فى الحروب النفسية، بهدف بذر بذور الشكوك، لدى القيادات العربية، حتى لا يثق بعضها بالبعض الآخر وكانت نتيجة أعماله، ومؤامراته وحروبه النفسية تلك خلال عام 1974 الفشل الذريع فى كل المجالات.

وقد اعترف هو بالفشل أكثر من مرة وأن كان لم يفقد الأمل بعد فى معاودته، وتنفيذ مخططاته التى يستهدف بها تمزيق وحدة الصف العربى، كما أنه لم يفقد بعد الأمل فى "الاستفراد" بكل دولة عربية على حدة ليسهل عليه، القضاء، عليها واحدة أثر الأخرى.

وفى عام 1975، تساءلت- رغم وجود كثير من الخلافات فى بعض العواصم، العربية- تساءلت قائلا: لماذا حقق العرب ذلك الانتصار الرائع، فى حرب العاشر من رمضان ولماذا توالت انتصاراتهم بعد أيام تلك الحرب، تلك الانتصارات التى تضاعفت يوما بعد يوم؟ وكان ردى على ذلك التساؤل قد انحصر فى كلمتين اثنتين "وحدة العرب" فوحدة العرب هى الركيزة الأولى التى كانت سببا فى انتصاراتهم فى معارك الحرب، وفى معارك السلام، وبدون تلك الوحدة لم يكن العرب، أبدا، بقادرين على أن يحققوا، أى انتصار: أن شعبنا العربى، الكبير، يعى تماما قول الله تعالى – وهو أصدق القائلين: واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله، عليكم إذ كنتم أعداد فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها".

وقد كانت الاختلافات والخلافات فى عام 1975، كما كانت فى عام 1976 بين بعض العواصم، العربية قد اشتد إلى درجة خطيرة للغاية، وتبودلت، أشنع التهم وأقساها بل وأفظعها، وفشل وسطاء الخير، والحب والعروبة فى أن يزيلوا تلك الخلافات والاختلافات وأن يقفوا- على الأقل – تبادل الاتهامات والحملات.

وتوقع كثيرون من أصدقاء، العرب فى كثير من أنحاء العالم، الشرور المستطيرة، للعالم العربى، وتأكدوا، أنه- أى العالم العربى- مقدم على انقسامات كبيرة تشل فاعليته وتوشك أن تقف مسيرته، وفى نفس الوقت ازدادت آمال الإسرائيليين فى تحقيق أحلامهم التى كانت قد اندثرت إلى حد ما بعد حرب أكتوبر 1973 بعد أن اشتدت الحملات المتبادلة بين بعض الأنظمة العربية، والبعض الآخر، وعاد هؤلاء، الإسرائيليون، إلى مخططاتهم القديمة التى تستهدف النيل، من الدول العربية، دولة وراء أخرى، وأيقنوا- ولا نقول ظنوا- أن ساعة انتصارهم، على العرب قد حانت

لتعود، إسرائيل كما كانت قبل حرب أكتوبر بذراعيها الطويلتين وبأسطورة جيشها القوى الذى لا يقهر.

ورغم أسفنا، العميق، لتلك الخلافات، والاختلافات ولتردى، البعض فى حماة الانقسامات الخطيرة، وتزول، البعض إلى مستويات لا تتفق أبداً والأصالة العربية عند التعبير عن آرائهم فى "خصومهم" من الأخوة العرب: رغم ذلك كله لم نفقد الأمل فى أن تكون، تلك الخلافات، والاختلافات كغيرها أموراً عارضة لا تلبث أن تزول بمرور الأيام.

وكان من بين ما قلناه فى نهاية عام 1976: لقد كان عام 1976، بحق من أخطر الأعوام التى مرت على الشعب العربى كله إذ تعرض فيه لأخطر ما يمكن أن يتعرض، له شعب من الشعوب فى الماضى، والحاضر والمستقبل، وهل هناك ما هو أخطر على شعب ما، من أ، يصاب أبناؤه بداء الخلاف والاختلافات؟ هل هناك، ما هو أخطر على شعب ما من أن يتحول فيه الأخوة الأحبة الأشقاء، إلى متنافرين، متخاصمين متحاربين؟ هل هناك ما هو أخطر على شعب ما من أن يتحول أبناؤه المحبون، له المتفانون، فى سبيل تحقيق حريته ووحدته، من مواجهة عدوهم اللعين الذى استباح حرماتهم، واحتل أراضيهم واستغل خيراتهم ليواجهوا بعضهم، بعضا لقد مرت بنا كعرب، أيام حالكة السواد، لم يكن الواحد منا يرى إلا الحزن والحسرة على تلك الجهود التى نبددها، فى غير موضعها، على تلك الأحلام، الحلوة، الجميلة التى بنيت مع تضحيات العاشر من رمضان والتى كادت تذروها رياح الخلافات والاختلافات.

وقد قلت أيضا: لقد رأينا جميعا بأعيننا، كيف كان العدو سعيدا إلى أبعد حدود السعادة وهو يجد صفوفنا الموحدة، المتراصة التى عجز عن اختراقها فى حرب العاشر من رمضان تتمزق، وتتمزق بأيدينا نحن العرب، كما أنه كان سعيداً إلى أبعد حدود السعادة، وهو يرى قوتنا العظيمة الهائلة التى حطمت كيانه وزلزلت بنيانه تضيع وتتبعثر بتمزقنا، نحن العرب.

ورأينا جميعا العدو، وهو يخطط بسرعة وخبث ليستغل ذلك كله إلى أبعد حدود السعادة، وهو يرى قوتنا العظيمة الهائلة التى حطمت كيانه وزلزلت بنيانه تضيع وتتبعثر بتمزقنا، نحن العرب.

ورأينا جميعا العدو، وهو يخطط بسرعة وخبث ليستغل ذلك كله إلى أبعد حدود الاستغلال، لعله يستطيع أن يسترد الأرض التى فقدها ولعله يستطيع أن ينجح فى توجيه ضربة

مفاجئة للعرب، يثار بها لنفسه من عار الهزيمة والهوان الذى ألحقناه به- وللمرة الأولى فى تاريخه- فى السادس من أكتوبر 1973.

وقلت أيضا: لقد عرفنا جميعا- أكثر من أى يوم مضى- خلال المحن القاسية المريرة، التى ألمت بنا، من يكون حقيقة الصديق الوفى الذى تفزعه خلافاتنا، واختلافاتنا ويعمل على إزالتها، ومن يكون حقيقة الخصم الذى يسعد بتلك الخلافات والاختلافات بل ويعمل على مضاعفتها، كما أننا عرفنا- وأكثر أيضا من أى يوم مضى- تلك الحقيقة التى كانت غائبة عن كثير منا، وهى أن العالم كله شرقه وغربه لا يحترمنا، إلا عندما نكون متحدين: إذ عندما نكون متحدين نكون أقوياء وهو لا يحترم إلا الأقوياء.

والذين أتيحت لهم فرص الإطلاع على اتجاهات الرأى العام، العالمى يعرفون جديا- أكثر من غيرهم- أن عدد الذين كانون يحترموننا غداة انتصارنا فى حرب العاشر من رمضان، قد تناقص بعد أن درب الشقاق، بيننا.

وقد أكدت أيضا، على كثير من الحقائق التى أومن بها، إيمانا قاطعا وجازما وهو أن قوتنا- نحت العرب- دائما فى وحدتنا، وأن ضعفنا دائما فى تمزقنا وأن عدونا مهما استخدم أحدث أنواع الأسلحة، وأكثرها خطرا، وخطورة، لا يمكن أن ينال منا بالقدر الذى نناله، من أنفسنا، وأننا لا يمكن أبدا أن نخرج العدو من أرضنا ما لم نخرجه أولا، وقبل كل شيء من أنفسنا، وأفئدتنا.

وقلت أيضا ما كنت ولا أزال وسوف أبقى ما حييت مؤمنا به: أن عدونا ومن يسير فى فلكه يخطئ خطأ جسيما عندما يبنى حساباته ويضع مخططاته على أساس فرقة العرب، ذلك لأن تلك الفرقة ما كانت ولم تكن فى يوم من الأيام، إلا أمرا عارضا، لا يلبث أن يزول، فالشعب العربى كله يؤمن إيمانا جازما بأن حياته فى وحدة صفه، ووحدة إرادته، وأن ما يجمعه أكثر بكثير مما يفرقه.

والذين يدرسون تاريخ شعبنا، وخاصة فى السنوات الأخيرة، يعرفون جديا، أن كل خلاف استعصى على الحل بين حاكمين عربيين أو أكثر كان يزول فى دقائق، بمجرد حدوث لقاء، بين هذين الحاكمين وبين هؤلاء الحكام، المتخاصمين المتحاربين، كما أنه فى كل أزمة، أو محنة أصابت الشعب العربى- كما حدث مثلا فى أعوام 1956، 1967، 1973- كانت وحدة العرب تلتئم حتى بدون أى اجتماعات تتم بين الحكام العرب.

وتشتد الخلافات، والاختلافات وربما بصورة لم تحدث من قبل فى عالمنا العربى منذ فترة بعيدة، وتقوى آمال الإسرائيليين وغيرهم من أعداء العرب ظنا منهم فى هذه المرة- ولا نقول يقينا – أن ما بين بعض الحكام العرب اليوم، من خلافات واختلافات، قد وصل إلى الدرجة التى لا يمكن فيها لهؤلاء الحكام، أن يعودوا إلى ما كانوا عليه قبل نشوب تلك الخلافات والاختلافات، ويخشى أصدقاء العرب وأحباؤهم فى جميع أنحاء العالم من أن تؤدى تلك الخلافات والاختلافات، إلى حدوث تصدع فى البنيان، العربى يوشك أن يقضى عليه ويتخوف بعض، الكتاب، والمعلقين السياسيين من المتعاطفين معنا من أن تصل الخلافات والاختلافات القائمة اليوم بين بعض الرؤساء العرب إلى الحد، الذى يتحول فيه العالم العربى إلى عالمين، أو إلى معسكرين متنافرين متناكرين بل ومتحاربين فى أسوأ الظروف.

ونحن الذين قرأنا جيدا، تاريخ شعبنا العربى قديما، وحديثا.. نحن الذين عايشنا شعبنا العربى، من المحيط إلى الخليج فى قراه وفى مدنه وفى قصوره، وفى أكواخه أكثر من ثلاثين عاما.

نحن الذين نعرف جيدا الظروف المحيطة بالشعب العربى ككل والظروف المحيطة بكل قطر عربى، على حدة.

نحن الذين، علمنا فى الحقل العربى فى اليسر وفى العسر، أكثر من ثلث قرن، نعيد من جديد ما قلناه فى بداية هذا المقال: لا توجد أبدا أية خلافات أو اختلافات بين شعبنا العربى وحتى لو وقعت تحت أى ظرف من الظروف بعض الخلافات، أو الاختلافات فإنها أمور عارضة، لا تلبث أن تزول.

صحيح أن الخلافات والاختلافات بين بعض الأخوة العرب قد وصلت – فى هذه الأيام- إلى مرحلة من الخطورة لم تصل إليها من قبل منذ سنوات عديدة.

وصحيح أن الحملات، المتبادلة بين بعض الأخوة العرب والبعض الآخر قد بلغت درجة من الشدة والعنف لا مثيل لها أبدا فى تاريخ العلاقات، العربية، بل فى تاريخ العلاقات الدولية.

وصحيح أن أطرافا عربية غير مشتركة فى المعارك الكلامية التى تدور اليوم فى بعض البلدان العربية بين بعض الأشقاء، العرب والبعض الآخر، قد عجزت من مداواة تلك الجروح، التى اوجدتها قسوة الهجوم ومرارة، التعدى والتحدى.

وصحيح، وصحيح، و.و. ولكننا رغم ذلك كله بل رغم ما هو ضعف، بل أضعاف ذلك كله على ثقة مطلقة لا حد لها بأن شعبنا العربى العظيم الأصيل لم يدع أبدا للانقسامات فى الرأي فرصة، أن تعوق مسيرته وأن تضعف كيانه وبنيانه، على ثقة مطلقة لا حد لها، من أنه سيضع- وبسرعة حدا لتلك المحنة، التى يتعرض لها شعبنا فى هذه الأيام، والتى أدخلت السعادة والبهجة إلى قلوب أعدائه، والتى لن تقتصر آثارها القريبة والبعيدة، فيما لو استمرت تلك المحنة على المشتركين فيها وحدهم وإنما ستمتد آثارها المخيفة والمحزنة، إلى كل أبناء الشعب العربى من المحيط، إلى الخليج.

إننا نأمل فى أن نصل إلى المرحلة التى نعالج فيها مشاكلنا الداخلية، والخارجية بالمزيد من الوعى، والفهم والثقة المتبادلة إذا أمكن وإلا فبالاستعداد للحوار الموضوعى، البناء.

أن أية خلافات، أو اختلافات فى الرأى لابد وأن تعالج بأسلوب حضارى، متميز يتفق وأصالتنا وتاريخنا المضىء، دائما: قد يقول البعض للبعض الآخر: أنا اختلف معك فى هذه النقطة وأنا أسجل اختلافى معك، بل أنا أحذرك من كذا وكذا وكذا فإما أن تقتنع بوجهة نظرى وإما أن تستمر فى اعتقادك بسلامة وجهة نظرك، فإذا أثبتت الأيام أن وجهة نظرك سليمة، كنت أول من هناك وأن أثبتت الأيام أن وجهة نظرك كانت خاطئة فكل واحد يعرف أننى خالفتك، ونصحتك، وقد يقول البعض الآخر، للبعض الآخر: أنا واثق، من أن هذا الطريق، الذى أسلكه هو الطريق الصحيح، الموصل، إلى تحقيق أهدافنا المشتركة فأما أن تسير معى فى هذا الطريق، وأما أن تنتظر لترى من هو على حق منا: ذلك هو الأسلوب الحضارى اللائق بالعرب حاكمين ومحكومين: أما تبادل الاتهامات بالعمالة، الخيانة و..و. فمسألة تعتبر من أخطر المسائل، فيما يتعلق بالعلاقات بين الأخوة والأشقاء، وتوجيه الاتهامات بالصورة المبتذلة، التى تتم اليوم فى بعض أجزاء من الساحة العربية لا تسيء إلى من توجه إليهم الاتهامات بقدر ما تسيء إلى من يتهمون الآخرين بمثل هذه الاتهامات.

على أية حال سواء عالج البعض منا خلافاته، أو اختلافاته مع الآخرين بالأسلوب الحضارى أو بغير الأسلوب الحضارى، فنحن، على ثقة مطلقة من أن كل تلك الانقسامات، مصيرها إلى الزوال وهل كان أحد من بين المائة مليون عربى – مثلا- يتوقع زال كل تلك الجبال من الاتهامات التى كان يتبادلها نظام الحكم فى بغداد، مع نظام الحكم فى دمشق؟

كل الانقسامات بين العرب مصيرها حتما إلى الزوال.

كل الخلافات والاختلافات لابد وأن تنتهى بين الأخوة العرب اليوم، أو غدا.

وكل الذى نخشى ألا يتم هو التئام الجراح العميقة التى نزفت دماء كثيرة.

صبرى أبو المجد.

www.anwarsadat.org